الباب الرابع عشر

دور اللغة العربية فى التربية القومية

علاقة التربية بالمجتمع :

تنهض التربية بوظيفة أساسية فى تطوير المجتمع ، ورسم مستقبله ، وتزويده بالطاقة الحيوية ، ممثلة فى شباب مفكر مستنير ، يحسن استغلال الموارد الاقتصادية ، وتهيئة الفرص أمام النشاط البشرى للبناء والتعمير والإنتاج ، فالتربية — إذن — عملية اجتماعية ، وهى لا تعمل فى فراغ ، وإنما تتصل أوثق الاتصال بالمجتمع الذى تخدمه ، ومن هنا كان الارتباط وثيقاً بين التربية والقومية .

وتخفق العمليات التربوية ، وتصبح جهوداً مبددة مضيعة ، إذا لم ترتبط أهدافها وغاياتها بأهداف المجتمع وغاياته ، كما أن التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، التى تطرأ على المجتمع ، فتغير من أهدافه ، وتعدّل من سياسته ، تقتضى حتماً تطورات مماثلة فى سياسته التربوية ، وخططه الدراسية ، وإلا وقفت التربية جامدة ميتة ، لا يستجاب لها ، ولا يؤمن بها فى ذلك المجتمع المتطور .

مجتمعنا الجديد ومعالمه :

مجتمعنا العربى يعيش الآن فترة من حياته ، حافلة بالنشاط والحركة ، متسمة بالتغير والتطور ، يشعر فيها كل عربى أنه يستقبل عهداً جديداً ، شخصت معالمه ، وتميزت سماته ، واتضح لكل فرد واجبه الجديد ، فى هذا المجتمع الجديد .

ووظيفة التربية — إذن — هى تبصير المواطن العربى بمجتمعه وأهدافه ، وأوضاعه السياسة والاقتصادية ، فى هذا المعترك الدولى ، الذى تصطرع فيه القوى ، وتثور فيه النوازع البشرية الجامحة ، وإذن فالسياسة التربوية ، التى تلائم حياتنا الراهنة ، هى التى تشتق أهدافها من أهداف مجتمعنا العربى ، الذى نسعى لدعمه وتعزيزه ، وقد رسم ولاة الأمور هذه الأهداف واضحة جلية .

فى الميدان السياسى تقوم سياستنا على نصر الحرية ، والدعوة إلى السلام ، وإيثار الحياد الإيجابى ، ومسالمة من يسالمنا ومعاداة من يعادينا .

وفى التخطيط الاجتماعى والاقتصادى قضينا على الإقطاع ، وآمنا بالحرية والمساواة، وبالنظم الديمقراطية الاشتراكية التعاونية ، تلك هى المعالم البارزة فى مجتمعنا الحديث ، ومن المسلم به أن كل مادة دراسية تستطيع القيام برسالتها فى التربية القومية ، وتهيئة الناشئين للتفاعل والاتساق مع هذا المجتمع الجديد .

ولكن مما لا شك فيه أن دور اللغة العربية فى هذه التربية القومية أعظم وأضخم ، وذلك للأسباب الآتية :

١ — أنها أعظم مقومات القومية العربية، التى دعونا إليها، وهتفنا بها على سمع الزمن، ومن هنا يملك مدرس اللغة العربية أن ينفذ إلى القلوب ، وأن يجمعها على هذا الرباط الحيوى المقدس .

٢ — أنها الوعاء الذى حفظ تراثنا القديم الخالد ، ونحن فى وثبتنا الحاضرة محتاجون إلى أن نزود أبناءنا وناشئينا من هذا التراث الحافل بالمجد والبطولة .

٣ — أن اللغة أداة التفكير والتعبير ، ولا تستغنى التربية القومية ، التى تتطلبها حياتنا الحاضرة عن تلك الأداة اللغوية ، التى تشرح أهدافنا وحاجاتنا ، وأوضاعنا فى الميادين المختلفة .

٤ — التربية القومية تحتاج فى كثير من الحالات إلى تعبئة القوى ، وإيقاظ العواطف ، وتنبيه القلوب ، واللغة — بما تملك من التعبير المؤثر ، والتصوير البارع المثير — تستطيع أن تحقق هذه الغايات ؛ ففى الشعر والخطب والمقالات ، والقصص والأناشيد ، صيحات تهز القلوب ، وتثير الشعور والوجدان .

كيف تنهض اللغة بدورها القومى فى مجال التدريس :

يقضى التنظيم التربوى بوضع خطة للدراسة فى كل مرحلة من مراحل التعليم ، تراعى فيها الأهداف القومية العامة ، وأهداف هذه المرحلة وحاجتها بوجه خاص ، ووضع مناهج تساير هذه الخطة ، وتحديد أنواع الخبرات والموضوعات ، التى تحقق الأهداف المرسومة ، وتأليف كتب مدرسية تساير المناهج ، وتساعد المدرس والتلميذ على فهم هذه المناهج ،

وتقضى — كذلك — بأن تتجه طرق التدريس ، وجهود المعلم إلى تحقيق هذه الغايات جميعها .

أما خطط الدراسة للغة العربية فى جميع المراحل التعليمية ، وكذلك مناهجها وكتبها فقد تكفلت بها هيئات فنية خاصة بالتخطيط والتشريع ، وكان رائدها فى عملها خدمة الجانب القومى ، وتوجيه التعليم اللغوى إلى أن يعبر الطالب بلغته العربية ، وأن يفهم الوطن العربى ، ومقومات وحدته ، وأن يتشبع بالمبادئ الاجتماعية والروحية ، التى تقوم عليها حياة المجتمع العربى الخالد ، وأن يلم بمشكلات هذا المجتمع . . . إلى غير ذلك من الأهداف التى رسمتها السياسة التعليمية .

ولم يبق — إذن — إلا الجانب التطبيقى ، وهو طريقة التدريس وإذن يئول الأمر إلى أن يكون السؤال : ما دور مدرس اللغة العربية فى التربية القومية ؟

وأبرز عنصر فى الإجابة عن هذا السؤال هو أن هذا الدور دور خطير عظيم :

١ — فى موضوعات التعبير التى يختارها المدرس مجال لهذه التربية القومية ؛ إذ يستطيع المدرس أن يشتق بعض الموضوعات من الأحداث الجارية ، أو من التطورات العالمية التى تمس حياتنا ، وتفكير التلاميذ فى مثل هذه الموضوعات تفكيراً منظماً صحيحاً ، بإرشاد المعلم ، يزيدهم بصراً ومعرفة بالنواحى القومية .

٢ — وفى مكتبة المدرسة عشرات من الكتب التى تعالج مشكلاتنا فى مختلف النواحى ، وتشجيع التلاميذ على قراءتها يساعد على تحقيق الأهداف التربوية ، ومثلها القصص التاريخية والوطنية .

٣ — وفى الأدب طوائف كثيرة من النصوص الرائعة ، تملأ النفس بالصور والمعانى التى تطبع التلاميذ على العزة والإباء والتضحية من أجل الوطن ، واختيار شىء من هذه النصوص يساعد المدرس فى هذا الواجب القومى .

٤ — وألوان النشاط اللغوى ، كالإذاعة والصحافة والتمثيل ، وسائل ناجحة فى التربية القومية .

ولا يفوتنا التنبيه على أننا لا نقصد مطلقاً بدعوتنا إلى خدمة التربية القومية ، فى دروس اللغة العربية ، أن نقصر مادة الدراسة على هذا الدين ، أو نحصر تفكير التلاميذ فى مثل هذا المجال الضيق المحدود ، أو أن نضرب حول المادة القومية بسور حصين ، لا يتجاوزه

تفكير التلاميذ ، إننا — إذن — نحبسهم فى مجال من الثقافة مكرر مملول ، ونضطرهم إلى نوع من العزلة الفكرية ، ونقطع ما بينهم وبين الآفاق الحيوية ، التى تزخر بالمعرفة والثقافة الحية المتجددة .

نقصد بهذا التنبيه أن نحد من غلواء بعض المدرسين المتطرفين ، الذين يبالغون فى فهم التوجيهات ؛ فيسيئون إلى أنفسهم ، وإلى طلابهم ، وإذا اختبرنا هؤلاء الطلاب رأيناهم نسخاً مكررة متشابهة ، فى ضيق الأفق ، وتحجر المعلومات ، واضطراب التفكير .